ويـوضح علوش، هنا، المأزق المترتب على التركيز على الوجه الفلسطيني للقضية، وتجاهل العامل القومي، او عدم ايلائه الاهمية المناسبة بالقول: «لقد دخل الفارس الفلسطيني الميدان قائلاً للامة العربية: أنا فارس الميدان والقضية قضيتي. واستطاع الفارس الفلسطيني ان ينتـزع الاعجـاب والتـأييـد، كل الاعجـاب والتـأييـد، ولكنه، في غمرة الاعجاب والتأييد والانتصارات، لم يسأل نفسه: ماذا بعد ؟ لم يطرح على نفسه، بجدية، هذا السؤال: هل استطيع، وحدي، أن أسير بالمعركة الى نهاية الشوط ؟ وماذا يحدث لو بقيتُ وحدي، ولم يهرع الفرسان العرب، كلهم، الى الميدان ؟»(١٦).

وبالفعل، خاضت الثورة الفلسطينية أشرس معركة تخوضها واطول معركة عربية، وهي حرب بيروت، ولم يهرع اليها الفرسان العرب، بل وقفوا موقف المتفرج. وهذه السلبية دفعت الى مزيـد من التشبث بالاستقلالية الفلسطينية، وكأن الثورة الفلسطينية استشعرت بان المطلوب هو الاستقلالية الفلسطينية التي تعني «الفيتو» على أي حل او تسوية لا يرضى عنها الشعب الفلسطيني، وتعني منع اي عودة للشعب الفلسطيني الى الوضع الذي كان عليه قبل العام ١٩٦٥. وقد اكد رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ياسر عرفات (أبو عمّار)، على أهمية التشبث بالقرار الفلسطيني، وان «هذا القرار سنصونه ونحميه حتى لا يمسـه هؤلاء الذين ارهبتهم القـوة المعتـديـة واخافهم منطق المعادلات، فسقطوا في لعبة التوازنات وتاهوا في الحسابات»(١٧).

وفي الكلمة التي القاها صلاح خلف (ابو اياد)، عن «فتح»، في دورة المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر، جدد النفي ان تكون استقلالية القرار الفلسطيني تعني الاقليمية، واكـد اصرار «فتـح» والثورة الفلسطينية على الانتماء العربي. وميّز خلف بين الانتقادات الموجهة إلى الاستقلالية الفلسطينية، لاعتبارات قومية حقيقية وصادقة، وتلك التي تصب في مجـرى تحطيم الثورة، وقال: «ان الذين يريدون ان يستروا ضعفهم وعجزهم يقولون عنا اقليميين»، وطالب بالمعاملة بالمثل: «أنا أقبل ان اذهب الى سوريا ونقول لها: قرارنا الوطني المستقل على الطاولة وقراركم على الطاولة، وقرارنا وقراركم لنا ولكم؛ ولكن ليس قراركم لكم وقرارنا، فقط، هو الموضوع على الطاولة»(١٨).

وكما سبق ان أشرنا، فان مطلب الاستقلالية الفلسطينية وابراز الشخصية الفلسطينية لم يكن حكراً على «فتح»، بل كان مطلباً لكل الفصائل ضمن تصورات تتباين أحياناً. فالجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، مع اقرارها بأن قضية فلسطين قضية فلسطينية وعربية في آن، الا انها ترى ان «دور شعوب الامة العربية وقواها الوطنية هو التضامن والتكاتف مع أي شعب عربي آخر في نضاله من اجل حريته وتقرير مصيره، لا ان تنوب القوى العربية محل هذا الشعب، او ذاك، في تقرير مصيره... فالشعب اليمني هو المسؤول الأول والأخير عن تقرير مصيره، وان على القوى العربية أن تسانده في خطواته التي يرتأيها لحاضره ومستقبله، لا ان تملي عليه شكل نضاله او خط سيره ومصيره»(١٩).

وتنتقـد الجبهـة الديمقـراطية الممارسات العربية السابقة بحق الشعب الفلسطيني وتصرفها بالقضية من وراء ظهره. وتعتبر ان من اهم انجازات الثورة الفلسطينية هو تمكن شعب فلسـطين من ابـراز شخصيته الوطنية المستقلة؛ الا انها تفصل بين ضرورة ابراز الشخصية الفلسطينية، كمطلب وطني ثوري، وبين الاقليمية والانغلاق عن المحيط العربي.